# اختيار الإنسان بين المؤثرات والمسؤولية

عواطف أحمد الإمام الخضر

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ معهد البحوث والدراسات الإسلامية

**المستخلص**:

خلق الله تعالى الإنسان حراً مختاراً، ومنحه العقل، وبعث له الرسل الذين يبينون له الطريق المستقيم، ولكنه سبحانه جعل في خلقه الشهوات التي تلح رغبة في إشباعها، فيعقلها بعقله وباتباعه للمنهج السماوي، وسلَّط عليه إبليس ليغويه ويزيِّن له الباطل، لكنه حذّره من طاعته وبيَّن له مدى عداوته، كما بيَّن له طرق إغوائه، وكيفية مقاومته وصدِّه.

جعل الإنسان يعيش مُجْتَمِعاً بغيره من أجل تبادل المنافع في الحياة والمعاش، فيتأثر الإنسان بغيره، وأثر الإنسان في أخيه الإنسان أكبر من تأثير الشيطان، لوجود العقل وإمكانية الحجة والإقناع، لذلك كان الرسل من البشر. وقد حذّرالإسلام من التقليد والاتباع من غير تفكّر وتدبّر، ودعا إلى إعمال العقل، والاستقلال بالرأي.

الهوى تأثيره شديد في الإنسان، لأنه هوى نفسه التي بين جنبيه لا يمكن الانفكاك منها، ويمكن مقاومته باتباع منهج الله تعالى، وقد منح الله تعالى الإنسان القدرة التي يمنع بها نفسه عن اتباع هواها. فبعد العلم بكل ذلك لو ترك الإنسان مجالاً لهذه المؤثرات لتؤثر في اختياره، فخالف منهج الله تعالى، ثم تبيَّن له خطأ هذا الاختيار فرجع إلى الله، تلقاه الله تعالى برحمته الواسعة، وإن أصر على ذلك الاختيار فهو اختياره الحر الذي يجب أن يتحمل نتائجه تحملاً كاملاً.

**ABSTRACT:**

This study aims to identify the impact of the negative influences in life that should not deviate people from keeping on the right track and holding their responsibilities. This is accompanied by demonstrating the means of resisting such influences and then proves that human beings are capable of shouldering their ethical responsibilities in the presence of all negative influences in life.

Undoubtedly, Allah has created human beings free of any restrictions and granted them the mind so as to think rationally and sent the messengers to enlight the way of rightness. However, Allah has made parallel way dwelled by Satan and seductive desires which could affect people and deviate them from fulfilling their ethical responsibilities .Thus, Allah has provided all the means of protection against sinful deeds and such seduction. Furthermore, Allah has created people to live together in communities to exchange mutual interests and learn from each other and insisted on the importance of coming together as a group inorder to stay away from being influenced by Satan. And because of being rational, messengers were human beings themselves. Thus, Islam demands people to act critically over their affairs and problems and express their opinions freely without being mere imitators and blind followers.

Finally, the freedom of choice of the way of rightness over the other of falsity can be achieved by sticking to the teachings and principle of the Quraan. This can support people to defeat the influences of Satan and his seductive desires .Allah also forgives the sins of people after their repentance. Most importantly, Allah has granted his people the right to choose between the two directions of rightness and falsity. However, this free choice based on the principle of accountability.

**الكلمات المفتاحية:** المقاومة ، الاختبار، التأثير،الطغيان.

**المقدمة:**

كرم الله عزَّ وجلّ الإنسان، وفضّله على كثير من خلقه، وأمر الملائكة بالسجود له، وخصه بالعلم، ومنحه حرية الإرادة، وجعله خليفة في الأرض، ومنحه العقل الذي به التمييز بين الخيارات المتعددة وسخر له ما في الأرض جميعاً. كما منحه حرية في حدود ما كلف به، وكلفه في حدود طاقته وقدراته وعلمه وهداه لطريق الخير الذي به الفلاح، وأنذره وأعلمه طريق الشر الذي به الخسران المبين في الدنيا والآخرة، ولم يقهره ولم يجبره على السير في أي من الطريقين، بل ترك له الحرية المطلقة في الاختيار، حتى يكون تحمله نتيجة اختياره تحملاً كاملاً، وجزاؤه عليها جزاءً عادلاً. لكن هنالك بعض العوامل التي يكون لها الأثر الواضح والكبير في اختيار الإنسان، كالشيطان والإنسان والهوى. فهذا البحث يناقش الآتي:

- مدى تأثير الشيطان في اختيار الإنسان، وهل هذا التأثير يؤدي إلى تسلط الشيطان عليه فلا يكون حراً؟ أم أن الإنسان هو الذي يختار ذلك ويستسلم طوعاً وينفذ مراده؟ وهل في استطاعة الإنسان أن يقاوم ذلك؟.
- ما مدى تأثير الإنسان في الإنسان ؟ وهل يمكن مقاومته ؟
- هل يمكن للهوى أن يؤثر في العقل فيحدث خللاً في الاختيا؟ وكيف يتم ذلك؟ وهل يمكن مقاومته؟
- هل ترفع المسؤولية عن الإنسان بوجود هذه العوامل؟

**أهداف البحث:**

١. بيان أن المؤثرات لا تسلب الإنسان اختياره.
٢. توضيح كيفية مقاومة المؤثرات المختلفة .
٣. إثبات تحمل الإنسان مسؤولية اختياره رغم وجود المؤثرات.

**تأثير الشيطان:**

الشيطان متمثل في إبليس قد سبق خلقه خلق الإنسان، ونزل معه الأرض، وقد سبقت عداوته لآدم عليه السلام منذ أن كان آدم جسداً لا روح فيه، وفي بيان قصة المعصية الأولى يقول تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾."[1]. وقد ورد رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام في كثير من الآيات كما ذكر سبب رفضه السجود لآدم، ويتبين ذلك من قوله تعالى:﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[2]. وقوله:﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[3]. فالذي منعه السجود لآدم إحساسه بالعزة والأفضلية على آدم عليه السلام، فاستكبرعلى تنفيذ أمر الله تعالى، فكان جزاؤه الذلة والصغار والطرد من الجنة، واستحقاق اللعنة إلى يوم الدين. على الرغم من ذلك يسأل الله تعالى أن ينظره إلى يوم البعث، فيجيب الله طلبه بالانتظار إلى يوم الوقت المعلوم، وهنا يعلنها إبليس صراحة بأنه سيغوي بني آدم وسيعمل جميع أنواع الحيل من أجل ذلك، حسداً وحقداً على آدم وذريته. يقول تعالى:﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4]. ثم إن الله تعالى أمر آدم وحواء أن يأكلا من الجنة حيث شاءا، ولايقربا شجرة بعينها:﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ

(٣٦٧) البقرة : ٣٤.
(٢) الحجر: ٣٢ .
(٣) ص : ٧٦ .
(٤) الأعراف : ( ١٤-١٨ )

وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥) ثم حذرهما من الشيطان، مبينا لهما عداوته لهما بقوله:﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾(٦). لكن إبليس المترصد لهما سرعان ما بدأ بالكيد لهما، وخدعهما بأنه إنما يريد نصحهما، مغلظا القسم بذلك، ومن ثم بين الله تعالى أن العداء سيكون مستمراً بين آدم وذريته والشيطان وقبيله، وهنا تكون معركة الإنسان مابين طاعة الله وولايته، وطاعة الشيطان وولايته. يقول سيد قطب: إن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة بعد السكرة، والندم وطلب المغفرة، إنما هي تجربة البشر المتجددة المكررة، لقد اقتضت رحمة الله تعالى بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته مزوداً بهذه التجربة، التي سيتعرض لمثلها طويلاً استعداداً للمعركة الدائمة (٧).

يفهم من ذلك أن المعصية تحدث لبيان طبيعة الإنسان وأنه ليس معصوماً، وبيان كيفية التوبة والرجوع إلى الله تعالى، وعدم الإصرار علي المعصية، ومدى رحمة الله تعالى وعفوه عن من تاب وآب إليه نادماً مستغفراً، وفي هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم : " كُلُّ بن آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " (٨) وقد حذر الله تعالى الإنسان من عداوة الشيطان حاثاً له على عدم طاعته والانخداع له، لأنه لا يريد له إلا الشر وزوال النعمه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٩). ويقول:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (١٠). ويقول:﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١١).

فمن استجاب لله وعقل نفسه من اتباع الشيطان نجا، ومن انساق للشيطان واتبع خطواته ونسى ذكر الله تعال، صار عبداً للشيطان يتحكم فيه.

**مداخل الشيطان وطرق كيده للإنسان:**

بعد أن رفض إبليس السجود لآدم وطُرد من الجن، طلب من الله تعالى أن ينظره إلى يوم البعث، فأجابه إلى يوم الوقت المعلوم . هنا كشف إبليس اللعين عن كيفية كيده لبني آدم، وأنه لن يترك مدخلاً إليه إلا دخله يقول تعالى :﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (١٢)، الصراط المستقيم هو الدين الحق، فيكون شغله الشاغل هو صد بني آدم عن الإسلام. ففي هذه الآيات تتبين الطرق التي يتخذها الشيطان ويسلكها لإضلال بني آدم. فبينت الآيات الهدف العام الذي يريده الشيطان وهو إغواء بني آدم وإضلالهم، ومن ثم بينت الآيات مداخله التي يعبر من خلالها للقيام بعمله. وهي كما يذكر الرازي: الشهوة والغضب والهوى(١٣). والهوى مدخل الشيطان لأن وسوسته إن لم تصادف هوى لا يكون لها تأثير، والغضب والشهوة إذا طغتا – أو أحدهما – على العقل أضعفتا تأثيره. ثم تأتي آيات أخر تبين كيفية كيده وتحايله على البشر، حتى يستجيبوا له أو يدخلوا في طاعته، وذلك بالتزيين والإنساء وغرهم بالأماني الزائفة، كما قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

---

(٥) الأعراف: (١٩) .
(٦) طه : (١١٧) .
(٧) سيد قطب- ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م - في ظلال القرآن - دار الشروق - ٥٩/١.
(٨) سنن الترمذي- كتاب صفة القيامة-حديث رقم ٢٤٢٣، مسند أحمد- كتاب باقي مسند المكثرين- باب باقي المسند السابق- حديث رقم١٢٥٧٦ .
(٩) البقرة : (١٦٨- ١٦٩).
(١٠) فاطر : (٦).
(١١) يس : ( ٦٠).
(١٢) الأعراف : (١٦- ١٧) .
(١٣) محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر-١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ م - مفاتيح الغيب - دار الفكر، لبنان- ١/ ٣٦٩ .

أَجْمَعِينَ ﴾[١٤]. فالشيطان يزين للإنسان الباطل حتى يراه حسناً فيقدم عليه، كما يقبح له الحسن حتى يراه قبيحاً فينفر منه.

ومن طرق كيده أيضاً أنه ينسي الإنسان ذكر الله سبحانه وتعالى وطاعته، وقد بين الله تعالى أن معصية آدم الأولى وأكله من الشجرة بسبب النسيان. يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [١٥]. ويقول﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١٦]. فالشيطان هو المتسبب في نسيان الإنسان، فينسيه عهده مع الله، وينسيه طاعة الله وذكره. فالشيطان إذا عجز عن إغواء بني آدم عن أداء الطاعات عمل على شغلهم بالخواطر المختلفة حتى ينسوا الطاعة ويتشاغلوا عنها، ويلمس ذلك جلياً أثناء الصلوات، حيث يتذكر الإنسان كل ما نسيه، بل ويخطط لغده، ولا يكون ذلك إلا في العبادة، فإن كان الإنسان في لهو نسي كل شيء حتى نفسه وكان حضوره كلياً مع اللهو، لأن الشيطان تركه وشأنه ما دام أنه في طاعته، فإذا رجع إلى طاعة الله رجع هو إلى الوسوسة المسببة لنسيان الإنسان. ومن طرق إغوائه كذلك غرهم بالأماني الزائفة التي يدفعهم بها إلى مخالفه أمر الله تعالى، يقول عز وجل على لسانه :﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [١٧]، وإبليس يجري من ابن آدم مجرى الدم كما ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ [١٨]. فإبليس يعرف الإنسان حق المعرفة، يعرف مواطن ضعفه ومداخله إليها، فقد دخل لآدم وحواء عن طريق ترغيبهم في الملائكية والخلود، وخدعهما عن طريق القسم. يقول ابن القيم: ومن كيده العجيب أنه يشأم النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة، فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام، أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه، فيهون عليه تركه حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به، وإن رأي الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة، أخذ يقلل عليه المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر الأول ويتجاوز الثاني [١٩]. مما يؤكد أن الشيطان أثره كبير وواضح على الإنسان علمه بضعف الإنسان واتباعه لشهواته، فيسهل الوصول إليه ما لم يكن الإنسان واعياً متبصراً غير غافل، وإلا لاستطاع أن يقوده إلى الضلال، لذا كان هذا التحذير المتكرر في آيات الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد يرد سؤال عن تسلط الشيطان على بني آدم ومدى تأثيره في الإنسان؟ فالشيطان لا سلطان له على الإنسان، إلاّ أن يدعوه إلى المعصية بالحيلة من الوسوسة الخفية، وتزيين المعصية حتى يتصورها حسنة، أو إيهامه وإغراءه بطول الأمل، وسعة رحمة الله تعالى، فينساق وراءه طائعاً له عن اختيار كامل. والشيطان كما تبين لا ييأس، إن صده الإنسان من ناحية أتاه من الناحية الأخرى لا يلين، وإن أطاعه تمادى في ذلك وأغراه بأخرى حتى يؤدي به إلى الكفر الصريح، وهو في خلال ذلك يمنيه بأنه معه ولن يتخلى عنه، فلا يفارقه حتى يموت على الكفر، ثم يتبرأ منه، يقول تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ

( ١٤) الحجر : ٣٩ .
( ١٥) طه : ١١٥.
( ١٦) المجادلة : ١٩
١٧) النساء : ١١٩ .
(١٨ ) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، حديث رقم ٣٠٣٩ ، صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بالمرأة، حديث رقم ٤٠٤١ .
(١٩) ابن القيم - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - تحقيق طه عبدالرؤوف ، مكتبة الصفا - مصر ، ص ١١٧ - ١١٨ .

إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٢٠] . فعندما يسند الكفار ضلالهم إليه، يقول إنه لا سلطان له عليهم، وإنما دعاهم فلبوا دعوته، فاللوم عليهم لا عليه، يقول تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [٢١]. وقد بين الله تعالى في كثير من الآيات خذلان الشيطان للإنسان، تنبيهاً للإنسان حتى لا يستجيب لإغوائه، فيقول :﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢٢]. فالشيطان لم يُسلط تسلط القهروالإكراه على الإنسان، وإنما باختياره التام تبع الشيطان فانساق لوسوسته وأطاعه وانخدع له، وقد بين الله تعالى أن تسليط الشيطان كان اختباراً لبني آدم، وأنه ليس له سلطان إلا سلطان الوسوسة والدعوة، يقول تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [٢٣]، قال الحسن: لم يسل عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومناهم فاغتروا[٢٤] ، ويقول القرطبي: أي لم يقهرهم إبليس على الكفر، وإنما كان منه الدعاء والتزيين، أي ابتليناهم بوسوسته لنعلم [٢٥]. والله قد نفي تسلط الشيطان على الإنسان تسلط القهر والإكراه، إنما فقط له الوسوسة، فيتبعونه بشهوة وهوى نفس، وقد ثبت في آيات كثيرة تسلط الشيطان على من اتبعه واتخذه وليًّا من دون الله، أما الذين يتولون الله تعالى ويطيعونه فقد أبعد عنهم سلطان الشيطان كليًّا. يقول تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾[٢٦]. يعني هذا أن تسليط الشيطان على الكفار خاصة، يقول الله تعالى :﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [٢٧]. فاستثنى الذين اختاروا الغواية، والذين يكفرون بالله ويشركون به ويعصونه هم الذين يتولون الشياطين قال تعالى :﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [٢٨]، وقال :﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [٢٩]. والإنسان هو الذي يختار وليه، فالذي يؤمن بالله ويطيعه يكون ولياً لله، والذي يكفر ويطيع الشيطان يصير ولياً للشيطان، والله سبحانه يدعه وما اختار، فيسلط عليه الشيطان فيصيره عبداً له، لذا كان إرسال الشياطين وتسليطهم على الكفرة، يقول الله تعالى :﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [٣٠]. والاستجابة لوسوسة الشيطان لا تكون إلا ممن كان في قلبه مرض ملازماً للسيئات ناسياً ذكر الله، ويقول أيضاً:﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ [٣١]، فمن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته نسبب له شيطاناً جزاءً له على

---

(٢٠) الحشر : ١٦ .
(٢١) إبراهيم : ٢٢.
(٢٢) الفرقان : ٢٩.
(٢٣) سبأ : ٢١ .
(٢٤) أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي-١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - معالم التنزيل في التفسير والتأويل -ج ٤- دار الفكر - لبنان – ص٥٠٦ .
(٢٥) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م -الجامع لأحكام القرآن- ج ١٤ - ط أولى - دار إحياء التراث العربي -بيروت- ص ٢٩٣ ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي-١٤٢١هـ -٢٠٠١م -الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-ج٣- ط ٢ -دار إحياء التراث العربي ، بيروت - ص ٥٨٣
(٢٦) النحل : ٩٩ : ١٠٠ .
(٢٧) الحجر : ٤٢ .
(٢٨) النحل : ٦٣ .
(٢٩) الأعراف :٢٧.
(٣٠) مريم : ٨٣.
(٣١) الزخرف : ٣٦.

كفره، ونسلطه عليه لا يفارقه، يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى (٣٢). أي أنه كفر أولاً ثم رفض أمر الله تعالى، فيكون عقوبته تسليط الشيطان عليه، بحيث يزين له الباطل فيراه حقاً، ويقبح له الحق فيراه باطلاً. فالشيطان لم يسلطه الله على عباده كما تبين، إنما يكون التسليط بعد اختيار الكفر والإصرار عليه والانغماس في المعاصي، فلا يستطيع الإنسان فكاكاً منه.ولكن كيف يواجه الإنسان ويقاوم الوسوسة والتزيين بعد اختياره الإيمان؟

**مقـاومـة الشيطـــان:**

لقد علم الله تعالى الإنسان كيف يصد الشيطان ويدفعه، ويدفع شره بعد أن حـذره مـن عداوتـه، وذلـك بالاستعاذة بالله تعالى منه وذكره ودعاءه واللجوء إليه . وقد وصف الله عز وجل الشيطان بالضعف، يقـول تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٣٣). وقد أمر الله تعالى في كثير من الآيات عباده المؤمنين بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، يقـول تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣٤) والشيطان ينزغ الإنسان كأنه يخنسه ببعثه على مالا ينبغي فاستعذ بالله من شره، وامض في شأنك ولا تطعه (٣٥)، أي اطلب النجاة مـن ذلك من الله تعالى بالالتجاء إليه والاستعاذة به. ورد في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: " إذا دخل الرَّجُلُ بَيْتَهُ فذكر اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قال الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ ولا عَشَاءَ وإذا دخل فلم يذكر اللَّـهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قال الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وإذا لم يذكر اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قال أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَـاءَ"(٣٦) أي أن الاستعاذه بالله من الشيطان تبعده، فهي من أنجع الوسائل التي علمها الله عز وجل عباده لـدفع الشـيطان، والابتعاد عنه ومقاومة إغرائه ووسوسته. ويقول تعالى أيضاً:﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ (٣٧). وهمزات الشياطين هي الدفع والتحريك الشديد، وهو كيده بالوسوسة، وقيل همزاته هي ثورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه(٣٨). والمؤمن القوي هو الذي يملك نفسه عند الغضب ويكظم غيظه ويعفوعمن أغضبه فلا ينساق وراء كيـد الشـيطان. يقـول تعـالى﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (٣٩) وفي الحديث " ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إنما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"(٤٠). فإذا شتمك أحد أو سبك فأغضبك فاتركه فالله يرد عنك. روي عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه شتمه رجل ونبي الله شاهد، فعفا عنه سـاعة، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب فرد عليه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله شتمني الرجل فعفوت وصفحت وأنت قاعد، فلما أخذت انتصر قمت يا نبي الله؟ فقال النبي الله صلى الله عليه وسلم: " إنه كان يرد عنك ملك من الملائكة، فلما قربت تنتصر ذهب الملك وجاء الشيطان، فوالله مـا كنـت لأجـالس

---

(٣٢) أبو جعفر محمدبن جرير الطبري -١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م -جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ضبط وتعليق محمود شاكر- ط ١ -ج ٢٥- دار إحياء التراث العربي - بيروت - ص ٨٦ ، تفسير القرطبي- ج١٦- ص٨٩ .

(٣٣) النساء : ٧٦ .

(٣٤) فصلت : ٣٦.

(٣٥) تفسيرالزمخشري- مرجع سابق- ج٤- ص٢٠٦ .

(٣٦) صحيح مسلم- كتاب الأشربة- باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما- حديث رقم ٣٧٦٢ ، سنن أبي داوود ، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام ، حديث رقم ٣٢٧٣ ، سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته، حديث رقم ٣٨٧٧ .

(٣٧) المؤمنون : ٩٧ : ٩٨.

(٣٨) تفسير الرازي-ج١٢-ص١١٩- أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي-١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – ج ٩- دار الفكر - بيروت -ص ٦٢ ، تفسير القرطبي ، ١٢/ ١٤٨ .

(٣٩) آل عمران : ١٣٤.

(٤٠) صحيح البخاري- كتاب الأدب-باب الحذر من الغضب، حديث رقم ٥٦٤٩، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، حديث رقم ٤٧٢٢ .

الشيطان يا أبا بكر[٤١]. وكذلك ذكر الله تعالى يذهب الشيطان الذي يترصد الإنسان، لذلك كان أمره سبحانه وتعالى بذكره كثيراً وفي كل حال يقول تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٤٢]. ويقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٤٣] . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ أو كان جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فإن الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فإذا ذَهَبَ سَاعَةٌ من الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعْرُضُ عليه شيئا "[٤٤].

كذلك أمر الله تعالى بالاستعاذة عند تلاوة القرآن: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [٤٥] ذلك لأن تلاوة القرآن فيها ثواب عظيم ، فإذا لم يأت القاريء بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه، وتلك الوسوسة تحبط ثواب القراءة، أما إذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوساوس وبقي الثواب مصوناً عن الإحباط [٤٦]. كما ورد أن قراءة آية الكرسي تصد الشيطان وتبعده عن الإنسان وتحفظه من كيده، كما ثبت في الحديث الذي يرويه أبو هريرة لما قال له الجني: إقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أَمَا إنه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ"[٤٧]. الفقه في الدين والعلم يقي صاحبه من خداع الشيطان، كما أن الجهل يورد الإنسان موارد الهلاك.

فيظهر أن الشيطان له أثر كبير في إضلال الناس، ولكن الله لم يسلطه على عباده ـ إلا على من اختار منهم الكفر وأصر عليه ـ وهكذا يبين الله تعالى كيفية تجنبه بعد التحذير من عداوته، ويوضح كيفية مقاومته بالاستعاذة منه، والمداومة على ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن والفقه والعلم بطرق كيده ومداخله، فمن اختاربعد كل ذلك متابعة الشيطان وموالاته، وترك طاعة الله تعالى، فقد خسر خسراناً مبيناً، ولا يلومنّ إلا نفسه. يقول تعالى:﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[٤٨].

وإذا وضح تأثير الشيطان في الإنسان، وقدرة الإنسان على مقاومة هذا المؤثر، فما مدى تأثير الإنسان في الإنسان؟ وهل يمكن مقاومته ؟

**تأثير الإنسان في أخيه الإنسان:**

لقد دعا الإسلام الإنسان إلى إعمال عقله والتفكر للوصول إلى الحق، كما دعاه إلى الاستقلال برأيه وعدم متابعة غيره ـ حتى لو كان على الحق ـ إلا بعد تيقنه من صدق الداعي واستقامة أمره ودعوته، لذلك كان سبحانه وتعالى في بعثه للرسل يؤتيهم المعجزات التي تدل على صدقهم، ومن ثم محاولة إدخال الناس في دين الله تعالى بالحوار والحجة والإقناع، كل ذلك حتى لا يتأثر الإنسان بأخيه من غير دليل وحجة تقوده

---

(٤١) أبو جعفر محمدبن جرير الطبري-١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م- جامع البيان عن تأويل آي القرآن-ضبط وتعليق محمود شاكر- دار إحياء التراث العربي- بيروت. ١٢٨/٢٤ .

(٤٢) النساء : ١٠٣.

(٤٣) الأنفال : ٤٥ .

(٤٤) صحيح البخاري- كتاب بدء الخلق- باب صفة إبليس وجنوده ، حديث رقم ٣٠٣٨ ، صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء ، حديث رقم ٣٧٥٥ .

(٤٥) النحل : ٩٨ .

(٤٦) تفسير الرازي- ١٠ج- ص١١٩- تفسير الزمخشري –ج٢- ص٥٩١.

(٤٧) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، حديث رقم ٣٠٣٣ ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ، حديث رقم ٤٦٢٤ .

(٤٨) النساء : ١١٩ .

لاتباعه، لأن من يترك عقله ويتبع الآخرين بلا حجة يهلك نفسه ويذلها، لذا ذم الله تعالى المقلدين لآبائهم من غير تمحيص ، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من اتباع الناس، وحث على توطين النفس على التدقيق قبل الاتباع بقوله: " لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إن أَحْسَنَ الناس أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إن أَحْسَنَ الناس أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أساءوا فلا تَظْلِمُوا "[٤٩]. والإنسان بطبعه وجبلته التي خلق عليها ينشأ على اتباع غيره، فيتعلم من أبويه ما يراه، ويحاول محاكاة كل ما تقع عليه عيناه، ولكن عند اكتمال العقل يبدأ بتفسير الأشياء، ومعرفة الخير والشر، لذلك تبدأ المحاسبة بعد اكتمال العقل والتمييز، وقد جاءت كثير من الآيات التي تبين أن الله بعث الرسل من أجل هداية البشر إلى الحق وعبادة الله الواحد، وأن بعضهم يرفضون الإيمان ويدعون غيرهم إلى الشرك والضلال ويحثونهم على تكذيب الرسل وعدم اتباعهم، مما يدل على تأثير الإنسان في أخيه الإنسان في فتح بصيرته حتى يرى الحق فيتبعه فينجيه، أو بطمسها فلا ترى شيئًا فيهلكها. يقول تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥٠]. وقد سمى الله تعالى الإنسان الذي يتسبب في إضلال أخيه شيطاناً لأنه يفعل فعل الشيطان، ولكن الشيطان يوسوس في الخفاء ويزين الباطل أما الإنسان فهو يدخل إلى أخيه الإنسان من عدة مداخل : يحاجه عقلياً ويزين له السوء حتى يراه حسناً فيتبعه وهو على يقين من أنه على حق، ثم إنه يقوم بإقناعه بأن ما يدعوه إليه هو الأفضل، وأنه لا يريد له إلا الخير الذي هو فيه ثم أنه يصعب الاحتراز منه بخلاف الشيطان الذي يمكن التعوذ منه. ولشدة تأثير الإنسان في الإنسان يحذر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم من فتنة الكفار، فيقول ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾[٥١].

يقول تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[٥٢]. قال قتادة ومجاهد والحسن : إن من الإنس شياطين، والشيطان العاتي المتمرد عن كل شيء وإن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه[٥٣]. عن ابن مسعود : الكهنة هم شياطين الإنس[٥٤]، لأن الكاهن ومثله العراف يضلان الناس بادعائهم معرفة الغيب والإنسان لحرصه على الخلود وخوفه من الغد يحاول التطلع لمعرفة ذلك، فيلجأ إليهما ليشعر بالطمأنينة، وقد تصل بالداعي إلى المعاصي أن يوهم داعيه بأنه سيتحمل نتيجة عمله إن هو تابعه فيه، فإن كان على باطل فهو سيحمل وزر ما سيفعله وفي ذلك مزيد إغراء وحجة بأنه على حق.

نجد ذلك المعنى في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[٥٥]. قال مجاهد : قال المشركون من قريش : نحن وأنتم لا نبعث فإن كان عليكم وزر فعلينا، لكن الله تعالى يكذبهم في ذلك بقوله في آخر الآية السابقة: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

(٤٩) سنن الترمذي كتاب البر والصلة ، ما جاء في الإحسان والعفو ، حديث رقم ١٩٣٠، مسند أحمد ،كتاب أول سند البصريين، باب حديث عم أبي حرة الرقاشي ، حديث رقم ١٩٧٧٤..
(٥٠) الأنعام : ١٤٤ .
(٥١) المائدة : ٤٩ .
(٥٢) الأنعام : ١١٢.
(٥٣) تفسير البغوي- ج٢-ص٤٠٦ .
(٥٤) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي- ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م -الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٣- دار الفكر-بيروت- ٣٤٢.
(٥٥) العنكبوت : ١٢.

كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾، وذلك أن من يعمل المعاصي اتباعاً لإغواء غيره لا يعفي من العقاب، وإن كان من تسبب في إغوائه سيجازى على ذلك، يقول تعالى عقب الآيـــة الســـابقة: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (٥٦).

كما سلَّط الله تعالى على من أبى الإيمان واختار الكفر الشيطان ليضله، يسلط عليه أيضاً قرناء الســـوء مـــن البشر. يقول تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ (٥٧)، وهؤلاء القرناء مـــن الجـــن والإنس أيضاً (٥٨) . فالله قيض لهم بما اطلع على فساد قلوبهم قرناء سوء من الجن ومن الإنس يزينون لهم السوء، وينتهون بهم إلى مراكب الذين كتب عليهم الخسران (٥٩) .

قد يكون الاتباع للأخرين تقليداً، والتقليد عادة يكون لمن له مكانة في نفس التابع سواء أكان أباه أو رئيســـه أو صاحبه، يقـــول تعـــالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٦٠)والتقليد عند العلماء حقيقته قبول قول بلا حجة وعلى هذا فمن قبـــل قـــول النبي صلى الله عليه وسلم من غير نظر في معجزته يكون مقلداً، وأما من نظر فيها فلا يكون مقلداً (٦١).

وهذا مما يدل على وجوب إعمال العقل والفكر قبل الاتباع، والذي يعمل تابعاً لغيره ليس له أجر في عملـــه وإن كان صالحاً، كما أنه يأثم في متابعته لغيره في عمله الطالح. يقول ابن تيمية: وأما من قلد شخصـــاً دون نظر بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطئاً كان آثماً(٦٢). ويقول الغزإلي:" وهذا حال كثيـــر مـــن الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتبع أحدهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأً لـــيس هو فيه على بصيرة، بل هو من مسلمة الدار لا مسلمة الاختيار(٦٣). ومن هنا يفهم أنه لا بـــد مـــن التـــدقيق والتفكر قبل الاختيار". جاء في الحديث الصحيح : " ما من مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَـــأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِـــهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ " (٦٤)، وهنا يتبين أهمية العلم اليقيني لتمام التصديق، وقد ذكر الله تعالى الآيـــة التـــي نهت عن اتباع الآباء، بعد الآية التي تنهي عن اتباع خطوات الشيطان. في ذلك يقول الفخـــر الـــرازي: إلا تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة خطوات الشيطان، وبين متابعة التقليد، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال، وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير دليل، أو على ما يقوله الغير من غير دليل (٦٥).

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم عن مجالسة الأشرار ودعا إلى مجالسة الأخيـــار، فكيـــف باتخـــاذهم أصحاباً ! يقول صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَـــافِخِ الْكِيـــرِ فَحَامِـــلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا َنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ

---

(٥٦) العنكبوت : ١٣.
(٥٧) فصلت : ٢٥.
(٥٨) تفسير القرطبي-ج١٥-ص٣٠٤ .
(٥٩) الظلال- ج٥- ص٣١١٩ .
(٦٠) البقرة : ١٧٠
(٦١) تفسير القرطبي- ٢/ ٢١١ .
(٦٢) ابن تيمية -١٣١٨ هـ - ١٩٩٧ م- الفتاوى الكبرى –ج٧- جمع وترتيب عبدالرحمن محمد قاسم - مؤسسة الرسالة - لبنان -ص٥٠.
(٦٣) ابن أبي العز على بن على بن أبي العز الحنفي -١٤٢٢هـ -٢٠٠١م - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط -ط ٢ -مؤسسة الرسالة- بيروت - ص ١٨٧ .
(٦٤) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، حديث رقم ١٢٩٦ ، صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، حديث رقم ٤٨٠٣
(٦٥) تفسير الرازي ، ٣/ ٨ ، وينظر تفسير القرطبي ، ٢/ ٢١١، والظلال ، ١٥٥/١.

تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "(٦٦)، فالجليس الصالح ينتفع منه الإنسان بالاقتداء أو التذكير أو تعلم علم ينفع، وجليس السوء يؤذي بفعله المنكر اتباعاً أو مشاركة، وفي الحديث " الْمَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ" (٦٧).

فيتبين أن الإنسان يتأثر بغيره فيتبعه، سواء أكان مقتدياً به كوالده، أو مؤتمراً بأمره كرئيسه، أو موادا له كرفيقه وصديقه، فإن كان هذا المتبوع مؤمناً قاده إلى الخير، وإن كان كافراً عاصياً قاده إلى الشر والهلاك، لأنه يؤثر في إرادته مما يؤدى إلى توجيه اختياره إلى ما يريده هو، فيترك اختياره الحر ويصير تابعاً له، لذا كان توجيه الله عز وجل للناس بإعمال العقل والفكر والنظر والاستدلال قبل الاتباع حتى للأنبياء، وكان توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بتوطين النفس على الاستقلالية وعدم الاتباع إلا بعد التدقيق الشديد والعلم الذي يوصل إلى الطريق الحق.

من المؤثرات التي تحدث خللاً في الاختيار، التأثير على العقل فكيف يتم ذلك التأثير ؟ وهل يمكن مقاومته ؟ وما هو الأثر المترتب على ذلك ؟

**التأثير في العقل**:

من المؤثرات التي توجه إرادة الإنسان فتؤدى إلى خلل في حرية الاختيار التأثير في العقل، والعقل هو الآلة التي يتم بها الاختيار بين البدائل المختلفة، وهو الذي بعدمه يسقط التكليف، وبغيابه ونقصه يرفع التكليف حتى وجوده وكماله. والتأثير فيه قد يكون تأثيراً مباشراً كلياً يؤدى إلى خلل في العقل كالجنون ونحوه، مما يفقد القدرة على التمييز، فيعتبر صاحبه غير مكلف لأن العقل هو مناط التكليف، وقد يكون التأثير مباشراً ولكنه جزئياً كالعقل الذي يحدث له غياب وقتي بنوم وسهو ونحوه، أو يكون غير مكتمل كعقل الصبي الذي لم يبلغ، وهؤلاء جميعاً يرفع عنهم التكليف مدة بقاء هذا الأثر، ومن ثم يدخلون في جملة المكلفين بأمر الله تعالى ونهيه. يقول صلى الله عليه وسلم: رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ(٦٨). أما التأثيرغير المباشر وهو المقصود، فهو تأثير الهوى وغلبته على عقل الإنسان وطغيانه عليه حتى يؤدي إلى إضعاف قدرته في الاختيار، فيجعل الإنسان تابعاً لهواه تاركاً لعقله، فكيف يمكن للإنسان أن يقاوم هذا المؤثر الذي هو ملازم له ملازمة عقله؟

وهوى النفس إرادتها، والهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه (٦٩) ويقول ابن الجوزى: الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه (٧٠)، وجاء في التعريفات أن الهوى ميلان النفس إلى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع (٧١). أي أن الهوى هو ما يريده الإنسان من غير النظر إلى ما يجلبه من نفع أو ضر ومن غير اعتبار للشرع، فالله سبحانه وتعالى الذي خلق البشر وركب فيهم الشهوات هو الأعلم بمدى تأثيرها في الإنسان وترجيحها لكثير من الاختيارات على وفق إشباعها ، حذر الإنسان من الانسياق وراء شهوته من غير تدبر وتعقل في عواقب هذا الأمر. يقول تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾(٧٢) . ويقول :﴿

---

(٦٦) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك، حديث رقم ٥١٠٨، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ، حديث رقم ٤٧٦٢ .

(٦٧) سنن أبي داوود، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم ٤١٩٣، مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثريين ، باب مسند أبي هريرة ، حديث رقم ٧٦٨٥، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه ، حديث رقم ٢٣٠٠ .

(٦٨) سنن أبي داوود ، كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً ، حديث رقم ٣٨٢٥ ، سنن ابن ماجة ، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم ، حديث رقم ٢٠٣١ .

(٦٩) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م- لسان العرب-ج١٥- دار صادر- بيروت- باب الواو والياء من المعتل - فصل الهاء - مادة "هوى " ص ٣٧٢ .

(٧٠) ابن الجوزي -١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م- الطب الروحاني- مكتبة مصر - سعيد جودة السحار - ط١- ص ٨ .

(٧١) علي بن محمد الشريف الجرجاني -١٩٨٥ م-التعريفات- مكتبة لبنان - ص١٦٠ .

(٧٢) المائدة : ٤٨ .

﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ (٧٣). ويقـــول: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ﴾ (٧٤). واتباع الهوى قد يقود إلى الكفر، لأنه اتباع من غيـــر النظر إلى الحجة والدليل، ومن غير تحكيم للعقل.

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٧٥). جاء في تفسير هذه الآية أن الأهواء هي المذاهب التي تـــدعو إليهـــا الشهوة دون الحجة (٧٦). أي أن الاختيار العقدي تم على أساس الهوى وميل النفس من غير النظـــر العقلـــي لمعرفة الحق، وقد يكون موقناً بعقله ولكن هواه طغى عليه فاختار الكفر لأنه ملائم لطبعه وميله . ويـــرى الرازي أن من اعتقد في الباطل أنه حق فإنه لا يكون متبعاً لهوى النفس، بل يكون في ظنه أنه متبع للهدى، فأما الذين يعلمون بقلوبهم ثم ينكرون بألسنتهم فهم المتبعون للهوى(٧٧). يوافق هذا رأي ابـــن تيميـــه الـــذي يقول: القلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقاً له وديناً، ولكن يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق ، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه(٧٨). أي الذي يعمل عقله فلا يصل به إلى الحق ويكون اعتقاده باطلاً ليس ممن يتبعون أهواءهم، وإنما متبع الهوى هو الذي يرجح الهـــوى على العقل، يعلم الحق ولكنه يتبع هواه وما تميل إليه نفسه، وهذا القول يخالف رأي علماء العقيـــدة، الـــذين يسمون من يضل بالشبهات بأنهم أهل الأهواء.

لقد بيَّن الله تعالى ـــ بعد تحذيره للناس من اتباع الهوى ـــ أن من اتبع هواه بعد علمه بالحق ليس لـــه مـــن ناصر ينصره من دون الله إن أنزل به عقوبة، وقد جاء الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وســـلم، بقولـــه سبحانه ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٧٩).ويقول محـــذراً: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٨٠) والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته(٨١).وقد جاء التحذير كذلك لأمة محمـــد صلى الله عليه وسلم من اتباع من يتبعون أهواءهم ، من اليهود والنصارى ومن على طريقتهم . يقول تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٨٢). وقد قيل: إن الهوى إنما سمي هوى لأنه يهوى بصاحبه(٨٣) . وقد يقود اتباع الهوى كذلك إلى الميل عن الحق والحكم بالجور وعدم العدل، لذا حذر الله تعالى الحكام من اتباع الهـــوى. يقول تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ (٨٤).أي لا تؤثر الهوى على الحق فيقودك إلى الضـــلال الـــذي

---

(٧٣) ص : ٢٦.
(٧٤) القصص : ٥٠.
(٧٥) المائدة : ٧٧.
(٧٦) تفسير البغوي- ٢/ ٢٨٥ ، تفسير الرازي- ٦/ ٦٧ ، تفسير الألوسي، ٦/ ٢٥٦ .
(٧٧) تفسير الرازي- ج٢- ص١٣٨ .
(٧٨) الفتاوى الكبرى - ج٧- ص٣٢٤ .
(٧٩) البقرة : ١٢٠.
(٨٠) البقرة : ١٤٥.
(٨١) تفسير الطبري ، ١/ ٥٩٦ ، تفسير القرطبي ، ٢/ ٩٤ .
(٨٢) المائدة : ٧٧.
(٨٣) سنن الدارمي- كتاب المقدمة- باب اجتناب أهل الأهواء-حديث رقم ٣٩٧ ، "وانفرد به ".
(٨٤) صاد : ٢٦.

يردي في النار. ويقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾(٨٥)، لا تتبعوا الهوى لتعدلوا أي لتكونوا عادلين، لأن اتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق وعلى الجور في الحكم (٨٦). فيتبين هنا أن الله تعالى حذر الناس من اتباع الهوى ومطاوعة النفس في كل ما ترغب فيه لأن ذلك يؤدي إلى الكفر بالله، ويقود صاحبه إلى النار، كما كان التحذير للحكام والقضاة للحكم بالحق ، وعدم اتباع الهوى حتى لا يجوروا ، لأن في جور الحكام والقضاة فساد كبير. يقول تعالى:﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ (٨٧)، كما كانت الدعوة إلى مخالفة الهوى وعدم الانسياق وراء الشهوة، لأن ذلك يقود إلى الاجتراء على حرمات الله تعالى، وسهولة ارتكاب المعاصي مما يؤدي إلى الهلاك.

**مقاومة الإنسان لمنازعة النفس وطغيان الهوى:**

النفس تنازع الإنسان لإشباع شهواتها، والعقل جعله الله ضابطاً لها، حتى يتم ذلك وفق منهج الله سبحانه وتعالى، والإنسان يكون هكذا في حالة شد وجذب بين عقله ونفسه. يقول ابن حزم: إن الله تعالى خلق نفس الإنسان ميسرة مميزة عاقلة، عارفة بالأشياء على ما هي عليه، وخلق فيها قوتين متضادتين متفاوتتين في التأثير، وهما التمييز والهوى، كل واحدة منها تريد الغلبة على آفاق النفس(٨٨). ويقول ابن الجوزي: اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة يجتلب بذلك ماينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به مايؤذيه، أعطي العقل كالمؤدب، يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب. وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه(٨٩). مما يعني أن خلقه كان متعادلاً، فإنه لما أحيط بالأعداء من الداخل بالهوى والشهوة، ومن الخارج بالشيطان وأقران السوء ، منحه الله ما يدافع به عن نفسه من الاستعباد والخضوع لغيرالله، منح العقل وحرية الإرادة . فالعقل يقود إلى الخير بضبطه للنفس التي تقود إلى الشر، وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه، وكسوتموه، وأطعمتموه أفضى بكم إلى شر غاية، وإن أهنتموه، وأعريتموه، وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية، قالوا: يا رسول الله هذا شر صاحب في الأرض، قال: " فوالذي نفسي بيده إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم "(٩٠) .هذا ما يبينه الله تعالى في كتابه من أن كل ما يصيب الإنسان من شر سببه نفسه، فيقول:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ (٩١). وهوى النفس أشد من الشيطان، لأن الشيطان مؤثر خارجي تسهل مقاومته وهوى النفس وشهواتها ملازمة للإنسان وتصعب مقاومتهما. فإذا استطاع الإنسان أن يقهر نفسه ويخالفها إلى الخير استشعر العزة والقوة والغلبة، لأنه قوى بإرادته الحرة، وصار الهوى تابعاً له. يقول ابن الجوزي: اعلم أن الإنسان إذا وافق هواه ــ وإن لم يضره ــ وجد من نفسه ذلاً لمكان أنه مغلوب، وإذا قهر هواه وجد من نفسه عزاً لأجل أنه غالب(٩٢). فكرامة الإنسان تقتضي أن يكون الإنسان عبداً لخالقه لا لسواه، وإرادته الحرة تستدعي أن يختار الإنسان ما يريد لما فيه من

---

(٨٥) النساء : ١٣٥.
(٨٦)تفسير الطبري- ٥/ ٣٧٥- تفسير البغوي- ٢/ ١٧١- تفسير الزمخشري- ١/ ٦٠٩.
(٨٧) المؤمنون : ٧١.
(٨٨) الإمام أبو محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري-١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - الفصل في الملل والأهواء والنحل -ج٢- ط٢ - دار الكتب العلمية ، بيروت- ص٨١ .
(٨٩) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي-١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م - تلبيس إبليس- دار الفكر - بيروت - ص ٢٣ .
(٩٠) تفسير القرطبي- ٢١٠/٩ .
(٩١) النساء : ٧٩.
(٩٢) الطب الروحاني- ص ١١ .

نفع يعود عليه ، ويترك ما يضره، وقد وعد الله تعالى الذي يقهر نفسه ولا يتبع هواها بالجنة، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (٩٣)، وتكون مقاومة الهوى بمخالفته، واتباع منهج الله تعالى، وذكر الله تعالى في كل حين، لأن من يغفل عن ذكر الله، يكون تابعاً لهواه، يقول تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٩٤)

**المؤثرات والمسؤولية**:

ثبت بالنصوص القاطعة من القرآن والسنة الصحيحة تأثير الشيطان في الإنسان، وأنه قد يقوده إلى الضلال مما يورده النار، فبوسوسته وتزيينه، ومعرفته لمواطن ضعف الإنسان، وأنه لا يُرى وقربه من الإنسان وملازمته له، كان التشديد على الحذر منه، والتعريف بعداوته، ووجوب التسلح لمواجهته بذكر الله والاستعاذة حتى لا يجد هذا العدو الخفي منفذاً ينفذ منه، فيؤثر في اختيار الإنسان في اعتقاده وعمله وسعيه، ولأن تأثيره دائماً تأثير سلبي يقود إلى الضلال والباطل، تعددت النصوص في التعريف به، وبطرق كيده ومداخله، والتحذير الشديد والوعيد من اتخاذه ولياً؛ ذلك لأن إبليس اللعين قد أقسم بعزة الله على إغواء بني آدم، واستثنى المخلصين. يدل هذا على أن الأمر متعلق باختيار الإنسان للإيمان والإخلاص لله، أو الكفر واتباع الشيطان، وإبليس يعلم أنه لن يستطيع غوايتهم كلهم لكنه سيغوي بعضهم، وقد بين الله تعالى معرفة إبليس بهذا الاستثناء، مما يؤكد أن الأمر متروك لحرية وإرادة الإنسان واختياره، وأن إبليس لم يسلط عليه تسلط الاستحواذ والتمكين التام. يقول تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٩٥) أي أن الإنسان يحاسب باختياره الخاطىء، ولا ترفع عنه المسؤولية بحجة خداع ومكر الشيطان، أو بالتأويل الخاطىء على أنه كان يعتقد أنه على صواب، يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحداً على معصية ركبها ، أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عناداً منه لربه فيها(٩٦). يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ (٩٧). إنّ الذي يتخذ الشيطان ولياً لا يستطيع نصرته على أولياء الله تعالى، لأن كيد الشيطان كما بين الله تعالى كان ضعيفاً، فكيف إذا كان مقابل كيد الله تعالى؟ وذلك يعني أنه ضعيف حتى في مقابل كيد الإنسان ، لأن الله تعالى أعطى الإنسان العقل الذي يفوق به الشيطان، وبين له بالمنهج السماوي كيفية مقاومته وصده ، وعدم الاستجابه لشبهاته حتى لا تؤثر في اختياره لعقيدته ، وعدم الانسياق وراءه فيعمل عمله. وتقوى الله تعالى هو العاصم الأكبر من ارتكاب الظلم والمحرمات. يقول تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٩٨) وهذا يؤكد أن الأمر لم يخرج عن دائرة الاختيار، برغم وجود هذا المؤثر. قد

---

(٩٣) النازعات : ٤٠ - ٤١ .
(٩٤) الكهف : ٢٨ .
(٩٥) الأعراف : ٣٠.
(٩٦) تفسير الطبري- ٨/ ١٨٨ .
(٩٧) الكهف : ١٠٣ -١٠٦ .
(٩٨) الأعراف : ٢٠١ .

بين الله تعالى في كثير من الآيات أن من يتبع الشيطان يتحمل المسؤولية تحملاً كاملاً، فيعاقب على اعتقاده الباطل ، وعمله الطالح، قال تعالى:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (٩٩) فوجود الشيطان وتأثيره لا يلغي أن الإنسان لا يزال عاقلاً بالغاً، عالماً بمنهج الله تعالى، غير مكره مختاراً حر الإرادة، فيكون تحمله لعمله تحملاً كاملاً، وجزاؤه عليه جزاءً عادلاً، والله لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون. والإنسان يؤثر في أخيه الإنسان لا شك في ذلك، لأن الله جعل الرسل من البشر، يدعون الناس إلى الحق وعبادة الله الواحد، وقد استجاب الكثيرون لداعي الله الذي كان عبر الرسل، مما يدل على مقدرة الإنسان على التأثي، ولكنه يختلف عن تأثير الشيطان ، فهو تأثير مباشر غير خفي، عن طريق الحوار والجدل والحجة والإقناع، وقد يكون تأثيراً إيجابياً كتأثير الأنبياء والصالحين، وقد يكون سلبياً كتأثير الكافرين والمنافقين والعاصين، وهذا يؤكد أن الأمر يقوم على الاختيار الحر، فيختار الإنسان متبوعه بكامل إرادته، وإلا فلم اختار بعض الناس اتباع الأنبياء ، واختار الآخرون اتباع الضالين المضلين؟ وهذا المؤثر ملازم للإنسان، لأن الإنسان يعيش مجتمعاً بغيره متأثراً به مؤثراً فيه، لذا كان التحذير من التقليد والاتباع قبل النظر. فالمسؤولية المترتبة على العاقل العالم المختار مسؤولية كاملة إلا إذا كان هناك إكراه، والإكراه نفسه لا يتصور إلا في الفعل، أما المعتقد فلا يمكن الإكراه عليه. يقول تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٠). هنا كان رفع الإثم عن القول المخالف للمعتقد الصحيح ، أما الاعتقاد نفسه فيتم بإرادة حرة. يقول أبو منصور: الديانات هن اعتقادات لا أفعال تكتسب، إذ الاعتقادات لا يجري عليها القهر والغلبة، ولا لأحد من الخلائق على اعتقاد آخر ومنعه سلطان، وهن أفعال القلوب خاصة (١٠١)، وهذا يعني أن الله تعالى أخرج القلوب من دائرة الإكراه، فلا يستطيع أي مخلوق أن يكره الإنسان على الاعتقاد، أو الحب والكره.

والهوى تأثيره شديد في الإنسان، لأنه هوى نفسه التي بين جنبيه لا يمكن الانفكاك منها، ولا يمكن مقاومته إلا باتباع منهج الله تعالى، وتغليب طاعة الله وعبادته على طاعة الهوى وعبادته، وتأثير الهوى كتأثير الشيطان، يؤثر تأثيراً سلبياً مما يقود بصاحبه إلى الهلاك، وهو لا يقود لخير أصلاً. واتباع الهوى يتم باختيار تام، وترجيح له على الهدى، وفي قدرة الإنسان أن ينهي نفسه عن اتباع هواها. واتباع الهوى قد يكون في المعتقد، وقد يكون في العمل، ففي المعتقد لا يكون إلا بعد العلم بالحق وإيثار الهوى عليه، يقول تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٢) . يقول الطبري : اعلم أنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمداً وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ويتركون الحق وهم يعلمون(١٠٣)، ويقول الزمخشري : فإن لم يستجيبوا لدعائك إلى الإيمان بالكتاب والهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى(١٠٤). وهذا يعني أن اختيارهم للهوى على الهدى بعد العلم ووجود العقل، فكان بحرية تامة . وترجيح الهوى في العمل يعني اتباع الشهوات، وقد حذر الله تعالى من السير وراء الشهوات لأنها تردى صاحبها في النار، وبما أن الله قد جعلها في تركيبة

(٩٩) النساء : ١٢٠ – ١٢١.
(١٠٠) النحل : ١٠٦.
(١٠١) أبو منصور الماتريدي -التوحيد - تحقيق فتح الله خليف : دار الجامعات المصرية - ص ٣٦٩ ، وانظر الفتاوى الكبرى - ٧/ ٣٩٣ -والفصل- ٢/ ٨١ .
(١٠٢) القصص : ٥٠ .
(١٠٣) تفسير الطبري ، ٢٠/ ١٠٢ .
(١٠٤) تفسير الزمخشري ، ٣/ ٤٢٥ .

الإنسان فقد وضح في منهجه طرق إشباعها بما يصلحها ولا يطغيها على غيرها ، ومنح الإنسان العقل ليضبط به الشهوة، فالذي يختار الهوى ويتبع شهوته يتحمل تبعة اختياره .

جاءت كثير من الآيات التي تبيَّن تحمُّل الإنسان تبعة اختياره ، فإن كان على الهدى فجزاؤه الجنة، وإن كان على ضلالة فجزاؤه النار، يقول تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(١٠٥)] فمن تابع الشيطان ولم يكلف نفسه عناء مقاومته ، فقد اختار ذلك بكامل إرادته فكان استحقاقه للعقاب استحقاقاً عادلاً . وإذا ألغى الإنسان عقله ، وتبع غيره تقليداً فقد اختار ذلك بحرية تامة ، ومن انخدع لغيره بتصديق شبهاته وابتداعه فقد كذب الله تعالى في الحق الواضح، ومن اختار موالاة الكفار والعصاة، وترك موالاة الله تعالى فقد اختار ذلك أيضاً، والذي يلغى عقله ويجعل الهوى والشهوة تطغى عليه قد فعل ذلك بحرية تامة ، فيتحمل مسؤوليته كاملة، وينال جزاءه الذي يستحقه.

**النتائج**

١. الشيطان له الأثر الكبير في اختيار الإنسان . ولكن الله لم يسلطه إلا على من اختار الكفر وأصر عليه.
٢. الإنسان يؤثر في أخيه الإنسان لكن تأثيره قد يكون إيجاباً وقد يكون سلباً.
٣. الهوى يعد من أشد المؤثرات وهو بوابة الشيطان للكيد للإنسان.
٤. مع وجود كل هذه العوامل المؤثرة في حرية الإنسان إلا أنها لا تسلب الإنسان اختياره.
٥. وجود هذه العوامل لا ينفي تحمُّل الإنسان تبعة اختياره.
٦. وجوب عدم الاستسلام لهذه العوامل ودفع تأثيرها بالطرق التي أوضحها الشرع .

**المصادر والمراجع**

القرآن الكريم.

١. سيد قطب -١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م-في ظلال القرآن- دار الشروق.
٢. محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي- ١٩٩٣م -سنن الترمذي- الشركة العالمية للبرامج "حرف"- الأردن.
٣. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني-١٩٩٣م -مسند أحمد- الشركة العالمية للبرامج "حرف"-الأردن.
٤. محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر-١٤١٢هـ- ١٩٩٣ م-مفاتيح الغيب- دار الفكر- لبنان.
٥. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري- ١٩٩٣م-صحيح البخاري- الشركة العالمية للبرامج حرف"-الأردن-
٦. . صحيح مسلم-١٩٩٣م- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري- الشركة العالمية للبرامج "حرف"-الأردن.
٧. ابن القيم - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق طه عبدالرؤوف- مكتبة الصفا - مصر .
٨. أبي محمد الحسن بن مسعود الفراء -١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م -معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البغوي-دار الفكر- لبنان.
٩. أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي-١٤١٦ هـ- ١٩٩٥م- الجامع لأحكام القرآن-دار إحياء التراث العربي- بيروت.

---

(١٠٥) النساء : ١٣ -١٤.

١٠. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- ١٤٢١هـ -٢٠٠١م- الكشاف عـن حقـائق التنزيـل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- ط ثانية- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
١١.أبو جعفر محمدبن جرير الطبري-١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م- جامع البيان عن تأويل آي القرآن-ضبط وتعليـق محمود شاكر- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
١٢. ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني-١٩٩٣م- سنن ابن ماجة- الشركة العالمية للبرامج "حرف"-الأردن.
١٣. أبوالفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي -١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م- روح المعاني في تفسـير القـرآن العظيم والسبع المثاني-دار الفكر، بيروت.
١٤. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي-١٤١٣هـ- ١٩٩٣م- الدر المنثور في التفسير بالمأثور- دار الفكـر - بيروت.
١٥. ابن تيمية-١٣١٨هـ- ١٩٩٧م- الفتاوى الكبرى-جمع وترتيب عبدالرحمن محمـد قاسـم-ج ٧- مؤسسـة الرسالة- لبنان.
١٦. ابن أبي العز على بن على بن أبي العز الحنفي-شرح الطحاوية في العقيدة السـلفية-١٤٢٢هـــ -٢٠٠١م تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط- ط ثانية- مؤسسة الرسالة- بيروت.
١٧. أبو داوود سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني الأزدي -١٩٩٣م -سنن أبي داوود- الشركة العالميـة للبرامج "حرف"-الأردن.
١٨. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري-١٤١٠هـ- ١٩٩٠م- لسان العرب - دار صادر- بيروت.
١٩. ابن الجوزي-الطب الروحاني١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م- ط أولى- سعيد جودة السحار- مكتبة مصر.
٢٠. علي بن محمد الشريف الجرجاني-١٩٨٥ م -التعريفات-مكتبة لبنان.
٢١. الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي- ١٤٠٧هـ- سنن الدارمي- ط أولـى- دار الكتـاب العربي.
٢٢. الإمام أبي محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري-١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م- الفصـل فـي الملل والأهواء والنحل-دار الكتب العلمية- بيروت.
٢٣. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي- ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م- تلبيس إبليس- دار الفكر- بيروت.
٢٤. أبو منصور الماتريدي- التوحيد- تحقيق فتح الله خليف-دار الجامعات المصرية.